شمالي دمشق][(١)]، فدفنته عند أخيها شمس الدولة، ولما بلغ السُّلْطانَ وفاتُه أبقى على ولده أسد الدين شيركوه حمص وتدمر والرَّحبة وسَلَمية إقطاع أبيه، وخَلَعَ عليه، وكتب له منشوراً.

السنة الثَّانية والثمانون وخمس مئة

[(٢)ذكر محمد ابن القادسي(٣) في الذيل فقال:] في يوم عاشوراء فُرش الرَّماد في الأسواق، وعُلِّقت المسوح، وناح أهل الكرخ والمختارة، [وبغداد](١)، وخرج النِّساء حاسرات يلطمن وينحن من باب البَدْرية إلى باب حجرة الخليفة، والخِلَعُ تفاضُ عليهنَّ وعلى المُنْشدين من الرِّجال، وتعدَّى الأمر إلى سَبِّ الصَّحابة: أبي بكر وعمر وعثمان [وطلحة](١) والزُّبير وعائشة ﷺ، وكان أهل الكَرْخ يصيحون: ما بقي كتمان، وأقاموا امرأة، يقال [لها](١) ابنة قرابا من أهل الكَرْخ، كان ظهير الدين العطار قد كَبَسَ دارَ أبيها، فأخرجَ منها كُتُباً في سبِّ الصَّحابة، فقطع يديه ورِجْليه، ورجمه العوام حتى قتلوه، فقامت هذه المرأة على دِكَّةٍ تحت منظرة الخليفة في الرَّيحانيين، وحولها ألوفٌ من الرِّجال والنِّساء، وهي تنشد أشعار العَوْني وغيرها، وتسبُّ عائشة رِضْوان الله عليها، وتقول: العنوا راكبة الجَمَل، وتذكر حديث الإفك والنبي ﷺ بأقبح الشَّناعات، [قال:](١) وكلُّ ذلك منسوبٌ إلى أُستاذ الدَّار ابن الصَّاحب.

وفي هذا الشَّهر عَبَرَ صاحب الباب كمال الدين ابن هُبيرة إلى الجانب الغَرْبي في موكبه إلى بُسْتان، وبين يديه أربابُ الدَّولة والسيوف المسلَّلة، فعاد في آخر النهار من يومه ماشياً، مكشوف الرأس، وبين يديه نفَّاط، وقد نُتِفَتْ لحيته، وعِمامته في حَلْقه،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): «قال ابن القادسي»، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) القادسي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي، القادسي: نسبة إلى القادسية، وهي قرية بين سامراء وبغداد، لاقادسية الكوفة التي كانت فيها الوقعة المشهورة، كان له اعتناء بالتواريخ والحوادث، وصنف كتابين «ذيل المنتظم» ـ وهو الذي ينقل عنه هنا سبط ابن الجوزي ـ وقد وصل فيه إلى سنة (٦١٦هـ)، وكتاب «أخبار الوزراء»، وكلا الكتابين لم يصلانا بعد، توفي سنة (٦٣٢هـ) ببغداد.
له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ٣/ ١٣١، «وفيات الأعيان»: ١/ ٣٢٩، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ١١٧، و«تاريخ الحكماء»: للقفطي، ط ليبسك: ص ١١١.

وإلى جانبه مغنية ماشية، يقال لها: خطليشي، وكان نُقِلَ إلى الخليفة عنه أنه يعاشر المغنيات والنُّدماء، فاستعظمَ ذلك حتى فَعَلَ به ما فعل.

وفيها حكم المنجمون في الآفاق بخراب العالم في جُمادى الآخرة، وقالوا: تقترن الكواكب السيارة: الشمس والقمر وزُحَل والمريخ والزُّهَرة وعُطارد والمُشْتري في بُرْج الميزان أو السَّرطان، فتؤثر تأثيراً يضمحلُّ به العالم، وتَهُبُّ سَمُومٌ مُحْرقة تحمل رملاً أحمر، فاستعدَّ النَّاس، وحفروا السَّراديب، وجمعوا فيها الزَّاد، وانقضت المدة [ولم يحدث شيء](١)، وظهر كذب المنجمين، فقال [أبو الغنائم محمد](١) ابنُ المعلِّم [الشَّاعر الهُرْثي](١) في أبي الفَضْل المنجِّم، [وكان رئيسَ القوم](١): [من المنسرح]

قُلْ لأبي الفَضْل قَوْلَ معترفٍ مضى جُمادى وجاءنا رَجَبُ
[وما جرت زعزعاً كما حكموا ولا بدا كوكبٌ له ذنبُ](١)
كلا ولا أظلمتْ ذُكاءُ ولا أبدتْ أذًى في قرانها الشُّهُبُ
يقضي عليها من ليس يَعْلَمُ ما يُقْضى عليه هذا هو العَجَبُ
فارْمِ بتقويمك الفراتَ والإسـ ـطرلابُ خيرٌ من صُفْرِهِ الخَشَبُ
قد بان كِذْبُ المنجِّمين وفي أيِّ مقالٍ قالوا فما كَذَبوا
مدبِّرُ الأمرِ واحدٌ ليس للسَّـ ـبعةِ في كلِّ حادثٍ سَبَبُ
لا المشتري سالمٌ ولا زُحَلٌ باقٍ ولا زُهْرةٌ ولا قُطُبُ
تبارك الله حَصْحَصَ الحقُّ وانـ ـجابَ التَّمادي وزالتِ الرِّيَبُ
فَلْيُبْطِلِ المُدَّعون ما وضعوا في كُتْبهم وَلْتُخَرَّقِ الكُتُبُ

وفيها قَطَعَ السُّلْطان الفرات، ووصل إلى حلب، وخرج منها يريد دمشق، فتلقَّاه أسد الدين صاحب حِمْص، وأُخته سفري خاتون بتل السُّلْطان، ومعهما الهدايا العظيمة، وسار إلى حِمْص، فأطلق المكوس، وأزال الضَّمانات، وقال لأخيه العادل: اقسمِ التِّركة بينهم على فرائض الله، وكان قد خلف شيركوه وسفري وزوجته ستّ الشَّام، فصعِدَ العادل إلى قلعة حمص، وأقام أياماً يقسم التركة، وكان قد خلَّف أموالاً عظيمة، وجواهر ومناطق الذَّهب والفِضَّة، فكان مبلغ التركة ألف ألف دينار، وكان

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

القاضي شرف الدين[١] بن أبي عَصْرون حاضراً للقِسْمة، فقام يوماً، فوقعت من تحت ذيله منطقة جوهر، فنسبه العادل إلى مالا يليق، وكان شرف الدين منزَّهاً عن ذلك [لأنه كان غنياً جواداً شريف النفس][٢]، فحلف للعادل: إنني ما علمتُ بها، [وصدق، وإنما الحساد وجدوا طريقاً للقول][٣].

وفيها دخل سيفُ الإسلام إلى مكَّة، ومنع من الأذان في الحرم بحيّ على خير العمل، وقَتَلَ جماعةً من العبيد كانوا يؤذون النَّاس، وأغلق أمير مكة بابَ البيت، وصَعِدَ إلى أبي قُبيس، فأرسل إليه وطلب المفتاح، فامتنع من إنفاذه، فقال سيفُ الإسلام لرسوله: قُلْ لصاحبك: إنَّ الله نهانا عن أشياءَ فارتكبناها، وقال النبيُّ ﷺ: «لا تأخذوا المفتاح من بني شيبة»[٤] فنأخذه، ونستغفر الله تعالى، فبعث إليه بالمِفْتاح.

وفيها قَسَمَ السُّلْطان البلاد بين أولاده وأهله برأي القاضي الفاضل، فإنَّه لما مَرِضَ أشار عليه بذلك، وكان الملك الأفضل بالدِّيار المِصْرية، وهو المترشِّحُ لولاية العهد، وكان قد تأدَّبَ وكَتَبَ، فأحسن خَطَّه، وسمع الحديث، وكان في نَفْس السُّلْطان نقل العزيز إلى مِصْر، فكَتَبَ إلى الأفضل يستدعيه إلى دمشق بأهله ووالدته، فحضر، فزوَّجه السُّلْطان سفري خاتون بنت ناصر الدِّين صاحب حِمْص، فقال ابنُ سعادة الضَّرير: [من السريع]

قد أقبل العُرْسُ السَّعيد الذي أنواره مِنْ وَجْهِكَ المُقْبِلِ
بنتُ سَمِيِّ المُصْطفى زُوِّجَتْ سَمِيَّ صِهْرِ المُصْطفى المُرْسَلِ

وجمع صلاحُ الدِّين أهله والأمراء، وأخذ عليهم العهود للأفضل، وكان السُّلْطان يؤثر أن تكون حلب للملك الظاهر ولده، وكان يستحيي من أخيه العادل، فزوَّجَ الظَّاهرَ بابنته، وقال له: قد علمت أَنَّ مدينة حلب جليلة، وقلعتها عظيمة، فاطْلُبْها من السُّلْطان، فعرَّفَ الظَّاهرُ أباه، فاستحسنَ ذلك من العادل، وفوَّضَ أمر حلب إلى

(١) في (ح) و(ش) و(م): نجم الدين، وهو تحريف.
(٢) في (ح): لغناه وجوده شرف نفسه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٣٤) و«الأوسط» (٤٩٢) من حديث ابن عباس مرفوعاً: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة، لاينزعها منكم إلا ظالم»، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٣/ ٢٨٥، وقال: فيه عبد الله بن المؤمل، وثقه ابن حبان، وقال: يخطئ، ووثقه ابن معين في رواية، وضعفه جماعة.

الظَّاهر، وأمر دمشق إلى الأفضل، وأمر مِصْر إلى العزيز، وأقطع العادل إقطاعاتٍ كثيرةً بمصر، وجعله أتابك العزيز، وسيَّرهما إلى مِصْر.

وكان تقيّ الدِّين بمصر، وحكمه بين يدي الأفضل بمنزلة الوالي، وبلغه ما فعل السُّلْطان، وكان يظن أنه يستقلُّ بمِصْر، فشقَّ عليه، وكان غلامه قراقوش قد وصل إلى أطراف المغرب، فكتَبَ إليه يستدعيه، ويطمعه في ملك جديد، فجهَّز أمواله وأثقاله إلى الإسكندرية، وكَتَبَ إلى السُّلْطان يستأذنه، فشقَّ عليه، وخاف أن يتبعه أكثر العسكر إلى المغرب، فكتب إليه يعتبه ويوبخه، ويقول: سمحت بفراقي. ويستدعيه إليه، فما أمكنه مخالفته، ودخل العزيزُ والعادل القاهرة أول شعبان، وقَدِمَ تقيُّ الدين دمشق سَلْخ شعبان، وتلقَّاه السُّلْطان، وأعاد ما كان بيده من البلاد وحماة والمعرَّة ومنبج، وأضاف إليه ميَّافارِقين، وثنى عزمه عن المغرب.

وسار يوزبا مملوك تقيّ الدِّين إلى المغرب، فلقيه صاحب المغرب فأسره، ثم أطلقه، وبعث به إلى بعض الثغور، فأبلى بلاءً حسناً، فقدَّمه على العساكر.

وفيها ظهر الخلاف بين الفرنج، وتفرَّقت كلمتهم، وكان ذلك سبباً لسعادة الإسلام، وكان السبب أن ريمند ابن الصنجيل قومص طرابُلُس رَغِبَ إلى مصافاة السُّلْطان، وكان قد تزوَّج الست صاحبة طبرية، وكان المُلْك في أخيها المجذوم[1]، فلما احتُضر أوصى بالملك لابن أخته وهو صبيٌّ صغير، فلما تزوَّج القومص أُمَّه رباه، وماتَ الصَّبي، فانتقل المُلْك إلى أُمِّه، على قاعدتهم في ذلك، فظن القومص أنَّ زوجته تفوِّض الأمر إليه، فمدَّت عينها إلى بعض الخيَّالة، واجتمعوا في القُدْس، فقامت بين الصَّفَّين وبيدها تاج الملك لتضعه على رأس من يستحقُّ المُلْك، فتركتِ الملوكَ والخيَّالة، ووضعته على رأس الذي مدَّت عينها إليه، وملَّكته طمعاً أن تتزوجه، فناصبها القومص والأكابر العداوة، ولم يرضوا بذلك، وأوقع الله بأسهم بينهم.

---

(١) هذا من الأوهام، إذ إن أخت الملك المجذوم وهو بلدوين الرابع هي سبيللا، وهي التي تولت المملكة من بعد، أما زوجة ريمند فهي إيشيفابور، انظر: «تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيمان: ٢/ ٦٥٢ (الترجمة العربية).

وفيها غدر إبرنس الكَرَك، واسمه أرناط، وكان أخبثَ الفرنج وأشرّهم، فقطَعَ الطَّريق على قافلةٍ جاءت من مِصْر إلى الشَّام، وفيها خَلْقٌ عظيم، ومالٌ كثير، فاستولى على الجميع قَتْلاً وأَسْراً ونَهْباً، فأرسل إليه السُّلْطان يوبِّخُه على ما فعل ويقول: أين العهود [والمواثيق][1]؟ رُدَّ ما أخذتَ. فلم يلتفت، وشنَّ الغارات على المُسْلمين، وفتَكَ فيهم. قال العماد: وكان معه شِرْذِمة، وهي من شرِّ أُمَّة، وكان على الهُدْنة حتى لاحت له فرصة، فوقع على قافلةٍ ثقيلة، فيها نِعَمٌ جليلة، وكان فيها جماعةٌ من الأجناد وأعيان أهل البلاد، فحملهم إلى الكرك، وأوقعهم في الشَّرَك، فأرسل إليه السُّلْطان، وقبَّح أفعاله وغدره واغتياله، فأبى إلا الإضرار، والفَتْك في المسلمين والتُّجَّار، فنذر السُّلْطان دمه، ووفى في إراقته بحطِّين بما التزمه، وأقام السُّلْطان بدمشق يتجهز للقاء العدو، ويستدعي العساكر من المشرق والمغرب.

وحجَّ بالنَّاس من العراق طاشْتِكِين، ومن الشام ستّ الشَّام، وولدها حسام الدِّين بن لاجين، وجماعة من المعتبرين.

وفيها توفي

أحمد بن أبي بكر المبارك[2]

أبو السُّعود الحَرِيْمي الزَّاهد[3]، كان عطاراً، فأقامه الله تعالى، فانقطع إليه، وصَحِبَ الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه، وأخذ عنه الطريق، فصار المشار إليه بعده، وكان له كراماتٌ وإشارات، وقَبُولٌ عام عند الخاصّ والعام، وكان طريقه الفناء لا يأكل حتى يُطْعَم، ولا يشرب حتى يُسْقى، ولا يَلْبَس ثوباً حتى يُجعل في عنقه، وكان بين يدي الله تعالى بمنزلة المَيْت بين يدي الغاسل، لا يزال مستقبل القِبْلة على طهارة، لا يتكلَّم إلا جواباً، وكان حسنَ الأخلاق، كريمَ الطِّباع، متواضعاً. [وكان سليمان بن شاوس قد

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «شذرات الذهب»: ٤/ ٢٧٤ .

(٣) في (م) و(ش): وفيها توفي أبو السعود الحريمي الطاهري، ويقال له ابن الشبل العطار.

اختصَّ به، وحكى لي جماعةٌ من أهل الحريم من أصحابه، قالوا:][1] وكان جالساً يوماً على الصُّفَّة، وليس عنده أحد، فوقع السَّقف عليه، فجاء طرف الجِذْع في رؤوس أضلاعه فكَسَرها، فلم يتحرَّك حتى جاء أصحابُه، فأزالوا السقف عنه والجذع، فأقام عشرين سنة لا يعلم به أحد حتى مات، فلما وضع على المغتسل رأوا أضلاعه مكسَّرة.

وقدم عليه الشيخ محمد بن قائد شيخ أَوَانا[2]، فقال له: يا شيخ أبا السُّعود، قد أُعطيتُ شِحْنكية العراق، فلي من أَوَانا إلى بغداد، ولك من بغداد إلى البَصْرة، وَهَبْتُه لك. فقال له أبو السّعود: قد آثرتك بالكُلِّ، أنت في حِلٍّ.

ولما توفي أراد بعضُ أصحابه أن يبقي بيت الحش الذي كان للشيخ، قال: فأتيتُ إلى رأس البئر، وإذا قد سدَّى عليها العنكبوت، وليس فيها شيء.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء عاشر شوال، ودُفِنَ بمقابر باب حَرْب، وبنوا عليه قُبَّةً عالية ظاهرة، وقبره ظاهرٌ يزار.

سمع الشيخ عبد القادر وطبقته، [وحدَّث بشيء يسير][1]، واشتغل بحاله عن الرِّواية.

الحسن بن عليّ[3]

ابن بركة [بن عَبيدة ـ بفتح العين ـ][1]، أبو محمد المقرىء [الكرخي][1] النحوي، [قرأ القرآن على أبي محمد، والنحو على أبي السعادات ابن الشجري، وسمع الحديث على قاضي المارَسْتان وغيره، و][1] استفاد منه خَلْقٌ كثير، وكانت وفاته في شَوَّال، ومن شعره: [من الطويل]

وما شنآنُ الشَّيْبِ من أجل لونه ... ولكنَّه حادٍ[4] إلى الموتِ مُسْرِعُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أوانا: بليدة من نواحي دجيل بغداد، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت. انظر «معجم البلدان»: ١/ ٢٧٤.

(٣) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٩/ ٤٠ـ٤٣، و«إنباه الرواة»: ١/ ٣١٦، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ١٣٠ـ١٣١، و«غاية النهاية»: ١/ ٢٢٤، و«بغية الوعاة»: ١/ ٥١١، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٠٣، و«توضيح المشتبه»: ٦/ ١٣٧.

(٤) في (م) و(ش): داعٍ.

إذا ما بَدَتْ منه الطَّليعةُ آذنَت بأنَّ المنايا بعدها تتطلَّعُ
فإنْ قَصَّها المِقْراضُ جاءتْ بأُخْتها وتطلعُ يتلوها ثلاثٌ وأربعُ
وإن خُضِبَتْ حالَ الخِضابُ لأنَّه يُغالبُ صُنْعَ اللهِ واللهُ أَصْنَعُ
ويَضْحى كريشِ الدِّيْكِ فيه تلمُّعٌ وأنصعُ ما يُكْساه ثوبٌ مُلَمَّعُ

عبد الله بن عبد الجبار(١)

المعروف بابن بَرِيّ النحوي، المِصْري.

كان أديباً فاضلاً، بارعاً في علم النحو والعربية، وانتفع به خَلْقٌ عظيم، وتوفي بمِصْر في شوال، وكان حُجَّةً، ثقة.

[وفيها(٢) توفي

ابن رئيس الرؤساء، واسمه علي بن محمد(٣)

ابن عبد الله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن الحسن بن المسلمة، أبو نصر ابن الوزير أبي الفرج]، الذي قتلته الباطنية(٤) [في أيام المستضيء](٥) وهو يريد مكَّة، ولما قُتِلَ أبوه دخل في طريق التَّصوف، وبنى رباطاً بالقَصْر من دار الخلافة للصُّوفية، ورتَّبَ فيه جماعةً منهم، ولم يدخل في شيء من الولايات، [وكان قد سمع ببغداد أبا الوقت، وأبا الفَضْل بن الأُرْمَوي وغيرهما، وسمع منه ابن البَنْدَنيجي وغيره، وخرج من بغداد ولم يعلم به أحد](٥)، وكان وصل

(١) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٢/ ٥٦ـ٥٧، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٣١٨، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٥٨ـ٦٠، و«كتاب «الروضتين»: ٣/ ٢٦٧، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ١٠٨ـ١٠٩، «إشارة التعيين»: ١٦١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٣٦ـ١٣٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ح): علي بن محمد ابن الحسن ابن المسلمة، أبو نصر ابن الوزير أبي الفرج، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ١٦٦ـ١٧٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/ ٤٧ـ٤٨، وفيه وفاته سنة ٥٨١هـ.

(٤) قتل والده سنة (٥٧٣هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

دمشق، فأكرمه صلاح الدين، واحترمه بحيث إنه كان يأكل معه، ويغسل يده معه في الطَّسْت، فحسده شمسُ الدِّين بن هُبيرة، وبلغ السُّلْطان، فقال: هذا وزير ابن وزير إلى أن ينقطع النَّفَس، مع الدِّين المتين، والزُّهْد في الدنيا، وغيره ليس كذلك، وأقام عند السلطان محترماً إلى أن توفي في جُمادى الآخرة، ودفن بقاسيون، وصلى عليه السلطان، وقد بلغ أربعاً وأربعين سنة.

محمد بن أتابك إلدكز(١)

ولقبه شمس الدين البهلوان [وهو الذي ذكرنا أنه نزل على خِلاط عام أول، و](٢) كان حاكماً على العراق وأذربيجان والرّي وأصفهان، وكان اسم الملك واقعاً على طغريل بن رسلان بن طغريل بن [محمد بن](٣) ملك شاه، وكان تحت حِجْر البهلوان، ويأكل البلاد باسمه، وكان ظالماً فاتكاً، ولما احْتُضر أوصى إلى أخيه لأمه قزل، ومات [البهلوان](٢) بهمَذان، وخلَّف ما لم يخلفه أحد، أما الأموال فما تحصى، وأما المماليك فترك خمسة آلاف مملوك، وثلاثين ألف فرس وبغل وجمل، وأقام أخاه مقامه وشبَّ طغريل، فأَنِفَ من الاحتجار، فركب من هَمَذان، ومعه مماليكُ أبيه ومماليكه، وجاء إلى أصبهان، وتبعه قزل، ووقعت الحرب، فأحرق قزل أصبهان حتى مدارسها ورُبُطها ومساجدها، ومات الناس جوعاً [بسبب ذلك](٤).

السنة الثالثة والثمانون وخمس مئة

فيها فُتِحَ البيتُ المقدَّس، وعكا، وحصون السَّاحل، وسببه وقعة حِطِّين.

خرج السُّلْطان من دمشق غُرَّة المحرَّم بعساكر الشَّام، فنزل بُصْرى يرتقب وصول الحاج وأُخته ست الشَّام، وولدها ابن لاجين، وكان قد بلغه أنَّ إبرنس الكَرَك يرتقب

(١) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وله ترجمة في «تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢٧٥، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٣٨٨، ٥٢٥-٥٢٦، و«كتاب «الروضتين»: ٣/ ٢٦٨، «وفيات الأعيان»: ٥/ ٢٠٨.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٤) ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): من الحصر الذي كان.